تركيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة يثير اسمها فى نفوس المصريين ذكرياته وشجونا

وأمة كان لها فى التاريخ صولة وجولة وكان لها مركز عظيم ومقام كبير ، ثم دار الزمن دورته فدالت دولتها وهانت وذلت إلى أن أصبحت كرة فى يد اللاعبين من أمم الغرب

وكان ساسة أوربا يتحدثون عنها طوال القرن التاسع عشر ويتعتونها باسم الرجل المريض (المحتضر)

إلى أن جاءت سنة ١٩٢٠ فنهض بطل من أبنائها وقائد من قوادها هو مصطفى كمال أتاتورك فأعاد إليها مجدها ورد إليها روحها وبث فى أبنائها قوة وعزة فوقفت من جديد على أقدامها

لكن تركيا الحديثة اتجهت فى سياستها اتجاها جديدا ؛ فولت وجهها شطر أمم الغرب وحاولت أن تقطع صلتها بالشرق : عمدت إلى أزيائها فغيرتها وإلى ألوف عاداتها وتقاليدها فبدلتها .. وحتى الدين لم تحرص الدولة على أحكامه ولم يعد دينها الرسمى

لقد وقع أتاتورك فى خطأ جسيم إذ اعتقد أنه ما أصاب تركيا من ذل وهوان وضعف واضمحلال إنما يرجع فى أساسه إلى الخلافة ، وقال هؤلاء أن فساد الخلفاء لا يرجع إلى فساد الدين وإنما يرجع إلى أشخاص الخلفاء ؛ وأن ضعف الخلفاء ليس مصدره الدين وإنما مصدره انحراف الخلفاء عن كنه العقيدة وعما يأمر به الدين . وهكذا وقع الكماليون فى الخطأ .. ولكن الأتراك وإن أطاعوا ظاهريا إلا أنهم احتفظوا بعقيدتهم سليمة كما رضح لنا أخيرا

وقطعت تركيا علاقاتها بالدول الشرقية إذ أرغمت بسبب هزائمها فى الحرب العالمية على أن تنسحب من الدول الشرقية : من مصر وبلاد العرب وبلاد العراق وفلسطين والشام وغيرها . وقد اعتقد الأتراك خطأ أنهم قد نزلوا عن عبء باهظ كانوا يحملونه ، والحقيقة أن هذه الأمم قد تنفست الصعداء حين زال عنها الكابوس التركى

لقد نظرت هذه الأمم إلى علاقتها الماضية بتركيا وإلى تاريخ الحكم التركى فلم تجد فيه شيئا يسر أو يرضى . لقد قام الحكم التركى على الاستغلال والظلم . والطغيان والاستبداد . لقد كان الحكم التركى يهدف أولا وأخيرا إلى جمع المال لينفق على موائد الخلفاء وفى ترفهم ولهوهم . وكان المال يجمع بطرق وحشية فيها غلظة وفيها تعذيب وفيها جلد وحبس الخ

ولم يكن الأتراك يهتمون بإصلاح حال رعاياهم ومن ثم شلت كل حركة للاصلاح وكانت جناية الأتراك على الشرق فظيعة قاسية

وازاح الكابوس التركى ولكنه ترك وراءه أمما ضعيفة لم تستطع أن تدافع عن كيانها ، ومن ثم سقطت هذه الأمم فى يد الدول الأجنبية فوضعت العراق وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزى ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وأما مصر فكانت تحت الحماية البريطانية ! ! وهكذا كانت جناية الأتراك على الشرق

على أن هذه الأمم جاهدت الاستعمار والمستعمرين وظفر بعضها باستقلاله كاملا وما يزال البعض الآخر يجاهد فى سبيل استكمال أسباب استقلاله وسيادته عن قريب سيزول بأمر الله كل أثر للاستعمار البغيض فى الشرق

وقد كان يحز فى نفوسنا نحن المصريين ما كان يتراءى إلى أسماعنا من أن تركيا - تعارض فى جلاء القوات البريطانية عن أرضنا باعتبار أن مصر قاعدة ضرورية لحماية ظهر تركيا . وقد كان ذلك يؤلمنا أشد الألم ، فقد كنا نتوقع أن تقف تركيا فى صفنا لا ضدنا ، وكنا نتساءل إذا كانت تركيا ترغب فى أن يحمى الإنجليز أرضها فلما لا تسمح لهم باتخاذ قاعدة فى بلادها وحينذاك يكونون أقرب إلى حمايتها وأسرع إلى نجدتها وإنقاذها ؟

وقد حدثتنا الصحف أخيرا أن تركيا تتجه الآن فى موقفها السياسى إزاء مصر اتجاها جديدا يهدف إلى تأييدها فى طلب الجلاء الناجز عن أرضها واعتبار القاعدة الإستراتيجية فى منطقة القنال قاعدة ثانوية .. وكانت تعتبر من قبل ضرورية لحماية ظهر الجيش التركى

ونحن نحمد لتركيا أن تعدل من سياستها وأن تقف بجانب أخواتها المكافحات فى سبيل الحرية فإن ذلك خير لها وأجدى

وجدير بى أن أذكر أن سياسة تركيا الخارجية إنما يمليها عليها موقعها الجغرافى ، فهى تقع فى ملتقى قارتين ، أوربا وآسيا ، وتفصل بين بحرين ، البحر الأبيض والبحر الأسود ، وتصل مابينهما بواسطة

بحر مرمرة وبوغازى الدردنيل والبسفور وبحر إيجه .

وقد نشأ عن هذا الموقع عدة مشاكل أهمها مشكلة البوغازات وما عرف فى التاريخ باسم المسألة الشرقية

فأما مشكلة البوغازات فأساسها سيطرة تركيا على بوغازى الدردنيل والبسفور وتحكمها فى الملاحة بين البحرين الأسود والأبيض ، ذلك أن روسيا لها شواطىء على البحر الأسود وهى تسعى دائما للوصول إلى البحر الأبيض ، وسفنها مضطرة إلى أن تمر ببوغازى الدردنيل والبسفور الواقعين فى يد تركيا ، وهكذا كانت السفن الروسية ولا تزال تحت رحمة الدولة المسيطرة على البوغازات ، ومن هنا نشأ الخلاف بين تركيا وروسيا وقامت بينهما الحروب

وفى سنة ١٨٠٩ كانت إنجلترا تناصب نابليون سيد أوربا العداء وفى الوقت نفسه كان نابليون حليف روسيا إذ ذاك ، وكانت الحرب قائمة بين روسيا وتركيا ، ومن هنا قامت صداقة بين إنجلترا وتركيا إذ كانتا عدوتين لروسيا ونابليون ، فوقعت تركيا وإنجلترا معاهدة سنة ١٨٠٩ عرفت باسم معاهدة البوغازات ، وأهم مافيها أن تغلق تركيا البوغازات فى وجه السفن الحربية الأجنبية ، ومن البديهى أن المقصود بالسفن الأجنبية اينما السفن الروسية ، إذ ليس ثمة صالح لإنجلترا أن تدخل البوغازات

وقد انتهت حروب نابليون بهزيمته ، وقام تحالف إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا ولكن معاهدة البوغازات ظلت قائمة

وفى سنة ١٨٣٠ قامت الحرب بين محمد على وتركيا ، وتدخلت روسيا للدفاع عن عدوتها التقليدية تركيا ضد محمد على ، ودبت عقارب الشك فى نفس إنجلترا فتدخلت وانتهى الخلاف بين محمد على والسلطان سنة ١٨٤١ ونصت المعاهدات الدولية على الاحتفاظ بالمبدإ السابق فى معاهدة البوغازات

وفى سنة ١٨٥٣ قامت حرب القرم بين روسيا فى جانب ، وتركيا وإنجلترا وفرنسا فى جانب آخر ، وقد انتصر الحلفاء ضد روسيا . وفى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ تقررت حيدة البحر الأسود ومنعت روسيا من إقامة حصون عليه وحرم عليها أن يكون لها به سفن حربية ، وتقرر الاحتفاظ بالمبدإ السائد فى معاهدة البوغازات وهو إغلاق البوغازات فى وجه السفن الحربية الأجنبية

ولكن روسيا مزقت نصوص المعاهدة فى سنة ١٨٧٠ منتهزة قيام الحرب بين فرنسا وألمانيا ، وفى سنة ١٨٧٧ قامت الحرب بينها وبين تركيا وتدخلت إنجلترا وأنذرت روسيا بأنها إذا هاجمت القسطنطينية عاصمة تركيا فستضطر إلى التدخل ، وأذعنت روسيا لتهديد إنجلترا ووقعت مع تركيا معاهدة سان استفانو التى عدلت فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وعقدت معاهدات احتفظ فيها بمبدإ إغلاق البوغازات فى وجه السفن الأجنبية

وقد مزقت هذه المعاهدة أملاك تركيا فى أوربا ، فقد استقلت عنها رومانيا والجبل الأسود والصرب (يوغوسلافيا) ونالت بلغاريا استقلالا ذاتيا واسع النطاق ، واستولت إنجلترا على قبرص وأخذت روسيا قارز وباطوم ، وكان اليونان قد حصلت على استقلالها منذ سنة ١٨٢٩ م . وهكذا تحطمت الإمبراطورية العثمانية فى أوربا وجثمت الدول الأوربية الكبرى على صدر تركيا

أحفظ ذلك تركيا فلجأت إلى ألمانيا وقامت بينهما علاقات صداقة ، وقد وقفت تركيا إلى جانب ألمانيا فى الحرب العالمية سنة ١٩١٤ — ١٩١٨

ولما هزمت ألمانيا وحلفاؤها مزقت الدول المنتصرة أملاك تركيا خارج أوربا ، بل إن أراضى تركيا نفسها كانت موضع النهب والتنافس بين الدول العظمى والدول الصغيرة ، ولولا أن الله بعث لتركيا مصطفى كمال لضاعت إلى الأبد

وفى خلال الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٥ وقفت تركيا على الحياد فأفادت من ذلك كثيرا : أولا استطاعت أن تقوى جيشها وأن تجعله مستعدا للدفاع عن أراضيها إذا تعرضت لخطر . ثانيا : جنب هذا الحياد تركيا ويلات الحرب وكوارثها ، وما الحرب فى هذه العصور إلا الدمار والخراب والفناء والبؤس والشقاء

وقد أعلن تشرشل منذ أيام أن العامل الوحيد فى منع قيام الحرب الثالثة . هو الخوف من ويلات الحرب . وها نحن نرى بأعيننا آثار الحرب المنتهية فى كوريا ونلاحظ أن الدول تلقى فيه من الوقود بقدر مخافة أن تزداد النار اشتعالا فتلتهم العالم كله .